﴿ دراسات وبحوث ﴾

المؤتمر الأول

لرابطة الأدباء والشعراء الثقافيَّة

صعيد الثورة وآفاق التغيير

{ دورة أحمد رشدي صالح }

محافظة المنيا – أبو قرقاص – ٢٧ ديسمبر ٢٠١٢ م

فن كتابة القصة القصيرة

دراسة للكاتب

علاء سيد عمر

أمين عام المؤتمر
الشاعر : أسامة أبو النجا

رئيس المؤتمر
الناقد : عبد الحافظ بخيت متولي

رابطة الأدباء والشعراء الثقافيَّة
تأسست في ٢٧ يوليو ٢٠١١ م

الإخراج الفني : الشاعر محمد رشدي عبد الباسط
نائب رئيس رابطة الأدباء والشعراء الثقافيَّة

للتواصل والاستفسار : ٠١٠٠٧٥٠٧٦٩٩ - ٠١٠٦٦٠٧٧٢٨٨ - ٠١٠٠٤٧٠٥٥٦٦
بريد إليكتروني : odbaa2011@yahoo.com

﴿ دراسات وبحوث ﴾

القصة القصيرة

نظرة تاريخية

لعب جيل الروّاد الأوائل دوراً بارزاً في إرساء القواعد الرئيسة للفن القصصي ..وبرزت أحداث كبرى جديدة ، أسهمت في نضج الصراعات الفكرية والأدبية . ومن هذه الأحداث ، ظهور الروابط الأدبية ، والتجمعات الثقافية ، وكانت القصة القصيرة سيدة الأجناس الأدبية ، كما كان القاصون روّاداً حملوا لواء العمال والفقراء ، ورفعوهم إلى مصاف الأبطال في قصصهم . وشنّوا من أجل الالتزام بهم ، معارك أدبية وفكرية . وساعدهم على ذلك ازدياد عدد الصحف والمجلات ، إضافة إلى الإيمان بدور الأدب في عمليات التغيير الاجتماعي .

وتتباين الآراء حول دور القصة القصيرة . فهناك من يرى أنها حاجة اجتماعية ، قبل أن تكون حاجة فنية ، وأنّ التأكيد على المضامين الاجتماعية والسياسية هي الأهم ،. وبرز رأي آخر مغاير ، يؤكد على أن القصة هي فن خالص لا يفترض مباشرة العلاقة مع المتلقي ، كما في فنون الاتصال الجماهيري أو الفنون الشعبية . وأنّ القصة تعتمد في فنيّتها على ما تقوله أساساً .

ومنذ البدايات القصصية الأولى ، وفي غمرة التقليد والترجمة ، انصبّ اهتمام الدارسين على وضع التعريفات ، وقياس القصص بما تجيزه الموازين النقدية الأوروبية ، مما جعل نقد القصة القصيرة محصوراً في معيارية عاجزة عن التقاط ملامح التأصيل والتمثل .

لقد كانت القصة القصيرة منذ بداياتها " تشى " بإرهاصات الأشكال الأدبية الجديدة الكبيرة التي لم يحن أوانها بعد ، ولكنّها تضع نفسها في نصوص قصصية متحررة من السجع والبلاغة ، ومتفتّحة على اللغة اليومية ، وعلى التقاط المستجد والطارئ في السلوكيات والعلائق والمشاعر ، بظهور نماذج قصصية فاضحة كما عند " إدوار الخراط ، ويوسف إدريس " .

فالقصة مدخل متمرّد على سجن خطابات السلطة ومعبر إلى تشييد فضاء رحب ، يستعيد المخيّلة الموءودة ، ويحتفل بنكهة اللغة الطازجة وطراوة المعرفة الكاشفة .

للتواصل والاستفسار : ٠١٠٠٧٥٠٧٦٩٩ - ٠١٠٦٦٠٧٧٢٨٨ - ٠١٠٠٤٧٠٥٥٦٦
بريد إليكتروني : odbaa2011@yahoo.com

﴿ دراسات وبحوث ﴾

وقد تناول النقّاد الحوامل الفنيّة للقصة القصيرة ، والعناصر التي تنهض بوساطتها ، كي تتحول إلى قصة لها شكل ومضمون ، بعيداً عن الحكائية الصافية والإنشائية والسرد المجّاني .

وركّز " رشاد رشدي " على فنّ القصة ، باعتبار أنّ كلّ قصة قصيرة ما هي إلاّ تجربة في التكنيك . ويتجلّى المعيار الأساسي في ناحيتين :

١- البناء : ويشمل : " الحدث والشخصية والمعنى ولحظة التنوير

٢- النسيج : ويشمل: " اللغة والسرد والوصف والحوار " .

وعلى هذا الأساس برز اتجاهان :

الأول : يعتمد على بناء القصة ، واحتوائه لخبر أو مجموعة من الأخبار المترابطة ، ينشأ منها حدث أو فعل يقوم به شخص أو أكثر . ويفضّل أن تكون شخصية واحدة ، ولا يجوز الفصل أو التفرقة بين الشخصية والحدث ، لأن الحدث هو الشخصية .

الثاني : يهتم بنسيج القصة ، من لغة ووصف وسرد وحوار، وضرورة أن تتعاون هذه الأغراض مجتمعة على خدمة الحدث وتصويره وتطويره .

وفق .. مجموعة من الشروط الفنية للقصة ، منها ما هو إيجابي كـ " البساطة ، ووجود الحركة والحياة في القصة ، والتحليل النفسي أو الاجتماعي ، وتجرّد القاص عن تعليقه الشخصي على الأحداث ، وألاّ تخلو القصة من دعابة أو تهكّم أو هزل أو نقد أو نكتة " .

ومنها ما هو سلبي ، بحيث ألاّ تكون القصة " حاملة على الضجر وضيق الصدر وتعب الفكر ، وأكبر سلبية هو إطالة القصة ، واكتفاء الكاتب بأن يختار من الأحداث الفنية أميزها وأهمها " .

من خلال النظرة الشمولية على جسد وروح القصة . وكيف يتكامل بناء الجسد وينضج ، ويتخلص من عشوائية الطفولة ، إلى جانب نموّ الروح والفكر وتطورهما تطوراً سليماً .

كمشروع معماري يتكون من :

أولاً : موضوع القصة " هيكل القصة " ، الذي يقوم وينهض على ثلاث دعائم أساسية هي : " العقدة ، الصراع الناشئ عن العقدة ، الخلل الناشئ عن الصراع " ويقوم الصراع على ثلاثة أنواع : " صراع ضد الظروف والأقدار ، صراع بين الشخصيات ، صراع داخل الشخصية " . ولا يغفل بجعل النهاية مفاجئة للقارئ ، وألاّ تكون " ذيلاً " سخيفاً . ويتوقف عند مجموعة من الأسئلة : هل سيفطن القارئ بعد الأسطر الأولى إلى ما سوف تنتهي إليه القصة ؟ هل ستكون النهاية في قوة البداية ؟

للتواصل والاستفسار : ٠١٠٠٧٥٠٧٦٩٩ - ٠١٠٦٦٠٧٧٢٨٨ - ٠١٠٠٤٧٠٥٥٦٦

بريد إليكتروني : odbaa2011@yahoo.com

﴿ دراسات وبحوث ﴾

ثانياً : عقدة القصة : تكون عقدة القصة العادية التركيبية في منتصفها أو قبل نهايتها لكي تحلّ . وتسير خطوط الحدث المتشابكة في القصة التحليلية في اتجاهات متوازية ، تلتقي عند الحل في النهاية دون أن تفقد عنصر التشويق فيها .

ثالثاً : الشخصية ، هي المحور الذي تدور حوله القصة كلّها ، وإن كاتب القصة العصرية يُلزم من الناحية الفنية ، برسم شخصيات قصصه من الداخل ، أي من خلال تفكيرها وسلوكها ، وإنّ الأبعاد أو الجوانب الثلاثة التي تتكوّن منها الشخصية بصفة عامة هي :

- الجانب الخارجي " البرانى " ، ويشمل المظهر العام والسلوك الظاهري للشخصية .
- الجانب الداخلي " الجوّاني " ، ويشمل الأحوال النفسية والفكرية ، والسلوك الناتج عنها .
- الجانب الاجتماعي ، ويشمل المركز الذي تشغله الشخصية في المجتمع ، وظروفها الاجتماعية .

رابعاً : الأسلوب .. وهو من أهم العناصر التي تقوم عليه القصة ، ويتوقف نجاحها إلى حدّ كبير على الأسلوب . وأنّ الأسلوب الركيك الجاف يفسد قوّتها وأصالتها . ويمنع القارئ من متابعة قراءتها . وينعكس الأسلوب الاستعراضي المبني على البهرجة اللفظية سلباً ، أما إذا كانت المحسّنات اللفظية تخدم القصة ، بهدف معين ، فإنّها تضفي عليها مزيداً من الجمال والأصالة والحيوية .

لنصل إلى نتيجة مفادها ، أنّ أسلوب القصة هو الرداء الذي تبدو به أمام القارئ ، والألفاظ هي النسيج الذي يصنع منه الرداء ، كما أن هناك مجموعة من الملاحظات أو النصائح عند الكتابة ، تتضمّن :

- وحدة الأسلوب .
- اللازمة التي لا تثير الملل .
- الحرص على عدم التقليد .
- الوضوح .
- الإيجاز .
- الزهو والفخامة .

خامساً : الحوار .. إذا كان أهم غرض يؤديه الحوار في القصة المطوّلة هو التعبير عن آراء المؤلف التي يضعها على ألسنة الشخصيات ، فإنّ أهم غرض يؤديه في القصة القصيرة ، هو تطوير موضوعها للوصول بها إلى النهاية المنشودة .

﴿ دراسات وبحوث ﴾

إنّ الحوار يخفّف من رتابة السرد ، ويريح القارئ ، ويبعد عنه الشعور بالملل ، ويساعد على رسم شخصيات القصة ، وتصوير موقف معيّن أو صراع عاطفي ، أو حالة نفسية ، كالخوف أو الكبت أو الغيرة .

وتناول بعض النقاد عناصر أخرى بشيء من التفصيل ، كالـ " الحبكة " ، باعتبارها تشكل المستوى الأعلى للقصة ، فهي التي تحقق نجاح المبدع ، لأنّ المبدع القادر على بناء شبكة متداخلة من خيوط الحدث ، ونسجه بأداة حديثة ، يستطيع أن يجعل الشخصية تؤدي دورها الكامل ، وتقوم بالأعمال الموكلة إليها ، وتتحرك بشكل درامي ، وهي التي تقوم بالعملية الاسترجاعية أو التنبؤية بين الماضي والمستقبل . لذلك يعرفون الحبكة بأنها : سلسلة الحوادث التي تجري فيها ، مرتبطة عادة برباط السببية .ويجب النظر أولاً إلى المواد الأولية التي تستمد منها ، وإلى قيمة هذه المواد عندما تعارض الحياة نفسها .. والحبكة في حقيقتها نوع من الحكاية . ويمكن أن تقسم القصة من حيث تركيب الحبكة إلى نوعين متميزين هما :

- القصة ذات الحبكة المفككة .
- القصة ذات الحبكة العضوية المتماسكة .

ففي الأولى ، تبنى القصة على سلسلة من الحوادث أو المواقف المنفصلة التي تكاد لا ترتبط برباط ما ، ولا تعتمد وحدة العمل القصصي فيها على تسلسل الحوادث ، ولكن على البيئة التي تتحرك فيها القصة ، أو على الشخصية الأولى فيها ، أو على النتيجة العامة التي تنظم الحوادث والشخصيات جميعاً . وعلى العكس إنّ القصة ذات الحبكة المتماسكة ، إذ تقوم على حوادث مترابطة ، يأخذ بعضها برقاب بعض ، تسير في خط مستقيم حتى تبلغ مستقرها .

ومن المآخذ على القصة ذات الحبكة المتماسكة ، أنها قد تنقلب أحياناً إلى عمل آلي ، حتى أنّ القارئ يشعر فيها بإحكام الصنعة ، وقد تؤدي إلى الافتعال والصدفة . وهناك شرطان أساسيان يجب أن يتوفرا في الحبكة القصصية المتقنة وهما :

- أن تتحرك بطريقة طبيعية خالية من الصدفة والافتعال .
- أن تكون مركّبة بطريقة مقبولة مقنعة ، لا نشعر فيها بآلية العمل القصصي.

وتقسم الحبكة من حيث مضمونها إلى نوعين :

- الحبكة البسيطة : حيث تكون القصة مبنية على حكاية واحدة .
- الحبكة المركّبة : حيث تكون القصة مركبة من حكايتين أو أكثر .

والمسألة الأخيرة تستحق النظر عند دراسة حبكة القصة ، وهي طريقة عرض الحوادث أو تطويرها . ومن هذه الطرق :

للتواصل والاستفسار : ٠١٠٠٧٥٠٧٦٩٩ - ٠١٠٦٦٠٧٧٢٨٨ - ٠١٠٠٤٧٠٥٥٦٦
بريد إليكتروني : odbaa2011@yahoo.com

﴿ دراسات وبحوث ﴾

١ ـ طريقة السرد المباشر.
٢ ـ طريقة الترجمة الذاتية.
٣ ـ طريقة الوثائق أو الرسائل المتبادلة.
٤ ـ طريقة تيار الوعي أو النموذج الداخلي .

وقد حدد النقاد مستويين في بنية العمل القصصي :

ـ **المستوى الأول :** هو مستوى القصة كـ " تاريخ " أو كوقائع تخص هذا الكون التخيّلي لعالم القصة . ونتعرف إليها من خلاله . وعلى هذا المستوى يمكننا أن ننظر في المنطق الذي يحكم الأفعال في نظام الحافز الذي يدفع حركة الفعل في الشخصيات ، وفي العلاقات فيما بينها .
ـ **المستوى الثاني :** هو مستوى القصة كـ " قول " ، أي كلام واقعي له وجود مادي ، يوجهه الراوي للقارئ .
وعلى المستوى الثاني ننظر في زمن القص ، الذي هو زمن تخيلي يختلف عن زمن الوقائع ويفارقه . وزمن الوقائع هو زمن متعدد الأبعاد ، يحمل في الوقت الواحد أحداثاً عدة ، أما زمن القص هو زمن أحادي ينمو بالكلام على التوالي . إنه زمن انتظام الصياغة ، وتكونها في جمل تتتالى وترتصف . وهكذا يحتضن زمن القص المتخيل زمنين هما : الماضي والحاضر . وفي حركة الرجوع إلى الوراء في لعبة الإيهام هذه ، يبدو " الماضي " كأنه هو الواقعي ، أي الموجود فعلاً .
وميّزوا النقاد بين نموذجين للراوي :
ـ الراوي الذي هو مجرد شاهد ، وهو راو ينقل الأحداث ، ويحكي عن الشخصيات .
ـ الراوي الذي يختفي خلف الشخصيات ، بحيث تتقدّم الأحداث ، كمشهد يجري أمام أعيننا ، وبحيث تنطق الشخصيات بلسانها .

وهنا نركز على لغة القص ، واللغة هي المشكلة الأكثر إلحاحاً في البناء القصصي بأسره ، لأن اللغة هي انعكاس لمشكلة المجتمع مع تطور لغته ، وليكون السؤال : كيف تتحدد لغة القصة ؟

﴿ دراسات وبحوث ﴾

تتحدد لغة القصة من ثلاث زوايا متكاملة :

- الزاوية الأولى : هي الازدواج اللغوي المحكي والمكتوب .
- الزاوية الثانية : هي عناصر التجديد اللغوي التي اتخذت لنفسها أكثر من شكل . الشكل الشعري أو شبه الشعري / الشكل التراثي .
- الزاوية الثالثة ، هي التركيب اللغوي .

إن القصة الحديثة تكثف الحدث ، وتعتمد على عدد محدود من الشخصيات ، وتكتب بضمير المتكلم ، ويفضل أن تكون القصة متداخلة الأحداث " عقدة مركبة " ومتداخلة الأزمنة ، مع إلغاء نهائي للمقدمات الكلاسيكية والسرد الإنشائي والمباشرة والتعليمية ، وذكر التفاصيل والجزئيات غير الضرورية . ووصف " تشيخوف " القصة الجيدة ، بأنها قصة محذوفة مقدمتها ، أي مواجهة الأحداث مباشرة ، بلا مقدمات قد تصرف القارئ عن متابعة قراءته . بينما كان " إدجار آلان بو " يهتم ببداية القصة إلى درجة أنه قال : " إنها هي التي تحدد نجاح القصة أو فشلها " .

إن نجاح أية قصة هو في قوتها التمثيلية ، أو في دقة رسم الشخصيات ، أو في سخريتها وفكاهيتها ، وهذا ما يجعلها تحتل المكان الأول في الأدب القصصي .

لقد حملت القصة الحديثة معها إلغاء النهايات التي يصفها القارئ من خلال السياق العام للقص ، فتبرد عاطفته ، وتهبط درجة حماسته ، لأنه قبل أن ينهي قراءة القصة ، يعرف نهايتها ، من هنا كانت النهايات المغايرة{ كالقصة المخاتلة } التي تنحرف بخط سير المتلقي أثناء قراءته 180 درجة ، لها أهمية حداثية وعصرية ، حيث تكون النهايات مفتوحة دون أن تتحدد لحظة التنوير ، مما يحرك ذهن المتلقي ويدفعه لمتابعة القصة ، فتترك عندئذ الأثر الكبير الذي يظل راسخاً في الذاكرة لفترة زمنية طويلة . ولا تقل النهاية أهمية عن البداية ، فهي ليست مجرد ختام لأحداث القصة ، بل هي التنوير النهائي الذي يحمل جوهر القصة وخلاصتها . إن النقد الحديث ينظر إلى القصة القصيرة ، كوحدة عضوية لا يجوز درس جزء منها معزولاً عن بقية الأحداث . وكل عنصر من عناصرها يجب أن يسهم بقسطه كاملاً في سبيل الوصول إلى التأثير النهائي.

ولم يكن غريباً أن تصبح القصة القصيرة نوعاً رئيساً ، ومهيمناً في الفترات الحداثية ، وما بعد الحداثة من آداب العالم .

﴿ دراسات وبحوث ﴾

وكانت القصة أسبق من غيرها في استيعاب تبدل الوعي ، وامتصاص التيارات والأساليب التي غمرت الساحة الإبداعية والأدبية . وشهدت القصة انقسامات وصراعات وتطورات .

ضمن حركتها وفعاليتها . وليس على الفنان أن يكون له " مفهوم " محدد ذو أطر لفنه ، إن واجبه الرئيسي هو الإبداع . ومن خلال إنتاجه يقدم الدارسون والنقاد مفهوماً خاصاً به .

هى " ومضة " من الرؤى الشاعرية ، تكتب بلغة النثر لقد اعترف العديد من منظري ونقاد القصة القصيرة . بحيرتهم إزاء تعريف القصة ، وذلك لتطورها عن أشكال قصصية أبسط أولاً ، ولاختلاطها بأشكال قصصية أكثر تعقيداً خلال عمليات نموها المتصلة ثانياً ، ولتداخلها بمجالات الأدب الشعبي الأرحب " الرموز والأساطير والتخييل والتحفيز " أكثر من أجناس الأدب الأخرى ثالثاً .

واعتراف " شلوفسكي " وهو من أبرز منظري فن القصة أنه لم يعثر على تعريف للقصة القصيرة ، فهناك كما يقول : " القصة والقصة الوحيدة الحدث ، والأقصوصة ، والقصة داخل القصة ، والقص الخيالي والرمزي والشعري ، والقصة القصيرة ، والقصة الحكاية " . ويصل " روبرت شولز " إلى التعريف التالي :

"القصة حكاية مختلفة " . رؤيا شعرية مكثفة للناس وللأشياء وأسلوبه . فالخيال أبوها الأول ، والحياة أمها ، وبقدر ما يخصب الخيال هذه الحياة ، تستوفي القصة معانيها الجمالية .

وجاء في كتاب " الصوت المنفرد " لمؤلفه الإيرلندي " فرانك أوكوتو " : " ليست القصة القصيرة ، قصيرة لأنها صغيرة الحجم وإنما هي كذلك لأنها عولجت علاجاً خاصاً ، وهو أنها تناولت موضوعاً على أساس رأسي لا أفقي ، وفجّرت طاقات الموقف الواحد بالتركيز على نقاط التحول فيه . فالذي يقف على منحنى الطريق يتاح له أن يرى الطريق كله " .

وأخيراً - نستنتج مما تقدم أن القصة إبداع ، ليس من الضروري أن ندخله في قفص التقسيمات والتنويع المحدد ، وذلك أن القصة نص نثري حر ، وسيد الموقف فيها هو أسلوب الكاتب الذي يحكم على قصته بالخلود أو السقوط ، والخالد منها هو ما يترك في نفس القارئ صدى طويلاً يتحرك في ذاكرته وفكره ...

* * *